شعراء من أشعارهم :

عدى بن زيد العبادي

للاستاذ محمود عبد العزيز محرم

— ٢ —

حين مات المنذر كان عدى رجلا شديدا ثقة يستعان به فى جلائل الأمور وعظائمها ، وكان يعمل فى ديوان كسرى ، وكان على صلة بالحيرة وما يجرى فيها . وقد خلف المنذر أبناء يرفعهم بعض الرواة إلى عشرة ، ويرفعهم آخرون إلى ثلاثة عشر ، ولكن السيدين المنظور إليهما فيهم جميعا هما : النعمان والأسود. وقد قدمت لك أن المنذر دفع بالنعمان إلى حجر عدى بن زيد وأهل بيته لتربيته وتقويمه . وأما الأسود فقد تولاه ، وأرضعه ، ورباه ، قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ، كانوا أشرافا . وكان أولاد المنذر جميعا يقال لهم الأشاهب من جمالهم ورياض وجوههم . وقد قال فيهم أعشى قيس بن ثعلبة :

وبنو المنذر الأشاهب(١) فى الحـ ـيرة يمشون غدوة كالسيوف

ولما احتضر المنذر وخلف أولاده حار كسرى فيمن يعقد له أمر الحيرة ، وأراد أن يختبر أبناء المنذر ليرى أيهم أحق بهذا الفضل ، فبيت فى طلبهم بمشورة عدى . ولما خلا بهم عدى — كما تروى كتب الأدب — أوصى كلا منهم بوصية مغشوشة مدخولة ، إلا النعمان فقد محضه القول وأخلص له النصح . ولما دخلوا جميعا على كسرى يأكلون ، كان النعمان فى ثياب السفر ومتقلدا سيفه ، وعظم اللقم ، وأسرع المضغ والبلع ، وزاد فى الأكل ، تبعا لوصية عدى ، على غير ما فعل إخوته ؛ فقد تباطأوا فى الأكل ، وصغروا اللقم ، ونزووا . فأعجب كسرى بما فعل النعمان وولاه الحيرة

وأنت ترى من هذا ، ومما سبق ، أن فضل عدى بن زيد على النعمان بن المنذر سابغ . ولذلك لم يكن من العجيب أن كان صديق الملك النعمان ، وجليسه ، ونديمه ، فى كل يوم تغنيه وخطاب ، يخرجان للصيد معا ، ويرجعان معا . وارتفعت أسهم عدى ؛ فقد احتال للنعمان وولاه ، وغدا النعمان ملك الحيرة ، ورثها بعد أبيه المنذر . ولم يكن بنو مرينا ليرضوا عن النعمان ، فإنهم أرادوا ربيبهم ورضيعهم الأسود ملكا للحيرة ، ولكن تدبير عدى قرب النعمان من كسرى وأبعد الأسود

ويذكر الرواة أن النعمان كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدى بن زيد ، فرأى على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها ؛ فقال له عدى بن زيد : أبيت اللعن ، أتدرى ما تقول هذه المقابر؟ قال : لا . ما تقول ؟ فأخبره عدى أنها تقول :

أيها الركب المخبو ن(٢) على الأرض المجدون
كما أنتمو كنا وكما نحن تكونون

فانصرف النعمان وقد دخلته رقة ، فمكث بعد ذلك يسيرا ، ثم خرج خرجة أخرى فمر على تلك المقابر ومعه عدى ، فقال عدى : أبيت اللعن ، أتدرى ما تقول هذه المقابر ؟ إنها تقول :

من رآنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها قدم(٣)
وجياد الخيل تردى(٤) فى الجلال(٥)
عمروا دهرا بعيش حسن آمنى دهرهم غير مجال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال
وكذاك الدهر يرمى بالفتى فى طلاب العيش حالا بعد حال

فرجع النعمان وتنصر وكان من قبل يعبد الأوثان . وليس بعيدا أن يؤثر عدى فى النعمان هذا التأثير ؛ فقد مضى بيان ما بينهما من صلات وثيقة ، وما قدم عدى للملك من جميل ، وكان عدى أكبر سنا وأعلم ، وكان له فى نفس النعمان منزلة الوالد ، ولذا فليس من البعيد أن يتنصر على يد عدى . وقد تنصر أبناء بيته أيضا ، وبنوا البيع والصوامع ، وبنت هند بنت النعمان بن المنذر ديرا بظهر الكوفة ، يقال له دير هند

وقد أحب عدى بن زيد هند بنت النعمان على فرق ما بينهما فى

(١) الأشاهب جمع أشهب وهو من غلب بياضه سواده

(٢) المخبون : المصروع . والخبب ضرب من السير ، وهو عدو بخطو قصير نوعا

(٣) جمع قدام أو قدام ، وهو ما يوضع فى فم الإبريق لتصفية ما فيه من شراب

(٤) تسرع وترجم الأرض بحوافرها

(٥) جمع جل وهو للحيوان (كالثوب للانسان يقيه البرد .

السن ؛ فقد كان عدى أكبر من أبيها النعمان ، ومن شعره فيها علق الأحشاء من هند علق(٦) مستسر فيه نصب(٧) وأرق

وفيها أيضا يقول :

يا خليلي يسرا التعسيرا ثم روحا فهجرا تهجيرا

مرجا (٨) بي على ديار لهند ليس أن عجتما المطى كبيرا

ويقول .

من لقلب دنف (٩) أو معتمد (١٠)

قد عصى كل نصيح ومفد(١١)

ليس إن سلمى نأتني دارها سـاءما فيها إلى قول أحد

ويذكر أنه يصبي ظباء مترفات ، يرفلن في الدمقس، ويكفين شؤونهن ، وهن بنات كرام ، مطيبات بالعبير :

بنـات كرام لم يرين(١٢) بقرة

دمى(١٣) مرقات(١٤) بالعبير روادها(١٥)

يسارقن م الأستار طرفا مفترا ويبرزن من فتق الحدور الأسابما

ومن المقبول أن يكون قد سار حب عـدى هند ، وعرفه الناس ، وتحدثوا به ، وبلغ النعمان شيء من هذا . ويحدثنا عدى أن سلمى (هند) مهما نأت دارها ، ومهما نهاه عن التعلق بها الناصحون أو اللائمون ، فهو لن يسمع إلى قول أحد . ثم هو كان يدخل بيت النعمان ، فكان يرى بنات كرام ممثلثات مطيبات بالعبير، وحين يدخل كن يسارقن النظر بطرف مفتر ، ويبرزن أسابهن من فتق الحدور — ذلك لأنه كان يصبي الظباء النواعم المنشآت في الدمقس والحرير

والنعمان رجل عربي ، يحفظه أن يتعرض أحد لفتاته بذكر، أو أن يقول فيها شعرا . وعدى قد تعرض وقد قال الشعر . ولا يبعد أن يكون النعمان قد عرف هوية عدى، وسمع شعره ، بطريقة أو بأخرى

وقد أجمعت الروايات على أن عديا ساهر النعمان . وأكثرها على أنه تزوج بنته هند . وقد دفع عديا حبـــه هند أن يتلمس الزواج بها . وقد تزوج بهـا ، وهي يومئذ جارية ، حين بلغت أو كادت . وقد طلبها إلى النعمان بطريقة خادعة ، وهي أنه صنع طعاما واحتفل فيه ، ثم أتى النعمان فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه ، ففعـــل ، وسقاه عدى ، فلما أخذ منه الشراب ، خطبها إليه ، فأجابه النعمان وزوجه، وضمها إليه بعد ثلاثة أيام

ولم يكن هذا الزواج موفقـا فيما يظهر ؛ إذ كان فارق السن بين الزوجين كبيرا ، فقد كان عدى أكبر من النعمان ، وهو قد قومه ورباه ، ومعنى هـذا أنه كان في سن تجوز له أن يكون أستاذا كاملا جديرا بتهذيب وتقويم أولاد الملوك — ثم كبر النعمان ، وتزوج ، وأنجب . وبعد هذا كله جاء عدى يخطب إلى النعمان ابنته هنـد ، وهي جارية ، حين بانت أو كادت . وجاء يخطبها بطريقة لا تليق بخطبة بنات الملوك ، فقد أسكر النعمان حتى أخـذ منه الشراب ، وحتى أصبح لا يستطيع الاختيـار ولا التعرف بمحض رغبته وملء إرادته ، ثم طلب إليه ابنته

وقد كان عدى شيب بهند ، وقال فيها الشعر ، وأعلن حبه، وعصى الناصحين فيها ، فكان الناس علموا بهذا الحب ، فمنهم الناصح ، ومنهم اللائم ، ومنهم الحساس المتربص

فكل الظروف التي أحاطت بهـــذا الزواج لا تهدي إلى التوفيق ، فالتشبيب بالفتاة في العرف العربي — والنعمان عربي — سبب يمنع زواجها ممن شبب بهـا وتغزل فيها ، ثم الطريقـة لا تسوغ في عرف الملوك ولا غيرهم ، ثم فارق السن لا يستهان به وبأثره في الزواج الموفق

وقد يكون النعمان حين صحا من سكرته يداله غير الذي عقـد ، ويداله أن الزواج غير متكافئ وغير جائز ، ولـكنه قد ألزم نفسه بما قطعه عليها من قبول عدى زوجا لابنته هند، وهو قبول خير منه الرفض ، وبشاشة خير منها العبوسة والاكتئاب

وفي مثل هذه الظروف الفاجعة صحت الفتنة،أو هي تحركت، فقد كانت متيقظة من بعيد ، يوم انحاز عدى في ديوان كسرى إلى النعمان ، وفضله على سائر إخوته وبخاصة الأسود ، وعمل على أن يكون ملك الحيرة بعد المنذر ، ونجح فيما أراد واختار ، وأصبح النعمان ملـكا ، وأصبح هو صديق الملك ورفيقه في التنزه بظهر الحيرة في طريقهما الفاخر ، غاديين رائحين

لبنان سنة محمود عبد العزيز مرحم

(١) عمق وهوى (٧) داء وبلاء وشر (٨) إعطانا وميلا
(٩) مريض حبا (١٠) مقصود إصابته (١١) من يغدى
(١٢) لم يسأن (١٣) جمع دمية وهي الصورة (١٤) ممثلات
(١٥) فيهن آثر الطيب والعطر